جامعة دهوك

مركز دراسات السلام
وحل النزاعات

السلام
في فلسفة الإسلام

الدكتور إسماعيل ابابكر البامرني

السلام
في فلسفة الإسلام

جامعة دهوك

مركز دراسات السلام
وحل النزاعات

السلام
في فلسفة الإسلام

الدكتور إسماعيل ابابكر البامرني

دهوك 2014

- اسم الكتاب: السلام في فلسفة الإسلام
- المؤلف: الدكتور إسماعيل ابابكر البامرني
- الاخراج الفني والغلاف: هكار فندي
- عدد النسخ: (500)
- الطبعة الاولى – مطبعة خاني - دهوك 2014
- رقم الايداع: (2120/14) لدى مديرية المكتبات العامة في محافظة دهوك لسنة 2014

طبع هذا الكتاب بدعم من لجنة المانونايت المركزية/اربيل
Mennonite Central Committee

المحتويات

المقدمة 7

مفهوم السلام في الإسلام 9

أهمية السلام في الإسلام ومكانته 25

قواعد ومبادئ في فلسفة الإسلام تؤسس السلام 37

المسلم والآخر صورة أخرى من صور السلام 49

الخاتمة..... 68

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

إن السلام حاجة وضرورة إنسانية وهي فريضة شرعية، وذلك لما يترتب على السلام من آثار وغايات تتحقق بها مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وتكون حياتهم في حالة ووضع من حيث الأمان والاستقرار الذي لابد منه للمجتمعات، فالسلام يجنب الناس كل تلك الخسائر والأضرار التي تترتب على انعدام السلام من حيث القتل والدمار والفساد وتحطيم للقيم الإنسانية وتحطيم للإنسان نفسه وفي مقومات شخصيته وإشاعة الفوضى بين الناس .

إنه لا شك في أن الإنسان يرقى إلى السمو والعلياء بتلك الصفات التي تضفي عليه الرحمة والإنسانية والتسامح والعفو، إنه لو سما وارتقى بتلك الصفات يكون قادرا ومؤمنا بالتعايش والعيش مع الآخرين دون أن يحمل في صدره أية معاني للبغض والحقد والكراهية تجاههم.

لهذا السبب كان حتما ولزاما على البشرية كلها أن تعمل من أجل الوصول إلى حالة السلام ليكون بعد ذلك عنوان التعامل والعلاقة بينها هو التعاون واحترام الآخرين، أيا كانوا هم. سواء أكانوا من بني جلدته وقومه أو دينه أو عشيرته أم كانوا آخرين لا يمتون إليه إلا بصلة الانتماء الواحد إلى الإنسانية باعتبارها الأصل الواحد المشترك للجميع. وجاء هذا العنوان واضحا في القرآن الكريم، يقول الله تبارك وتعالى ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) سورة المائدة – الآية 2 . فأي بر وأي خير وأينما تحقق ذلك يكون المسلم مأمورا بإتباعه دون أن يكون في نفسه أية بغضاء أو عداوة يمنعه من ذلك.

من أجل ذلك جاء الخطاب الإلهي واضحا يأمر الناس في الدخول إلى عالم السلم والسلام دون استثناء، يقول الله تبارك وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)) "سورة البقرة - الآية 208.

إنه حقا يجب أن يكون سلما عاما في كل نواحي الحياة ومع الجميع، فالسلام الجزئي سواء من حيث موضوعه أو من حيث شموله لا يحقق تلك المصالح والنتائج المرجوة، بل ربما في بعض من الأحيان قد يكون السلام الجزئي وفي بعض حالته سببا لإشعال نار الفتنة بين الناس وإشاعة الفوضى داخ المجتمعات.

ولكي يتحقق السلام داخل النفوس وفي الأسر وفي المجتمعات مع الغير لابد من مراعاة واتخاذ آليات ووسائل معينة تهدف في نتيجتها إلى تحقيق السلم والأمن داخل المجتمعات.

فالسلم لن يتحقق إذا لم يكن هناك احترام للإنسان والإنسانية، ولن يتحقق السلم إذا لم يكن هناك إقرار بالتعددية والتنوع والاختلاف داخل المجتمعات وبين بني البشر، ومن ثم إذا لم يكن هناك احترام لهذا الاختلاف والتنوع فلن يتحقق أي سلم أبدا، ولا شك أن هذا الاحترام والاعتراف بالآخر لن يتحقق مقصوده من السلام إذا لم يكن هناك أداء والتزام بالحقوق بالواجبات وتعاون بين الجميع على الخير.

إن هذه الصفحات تبحث في السلام وكيفية تحقيقه من منظور الفلسفة الإسلامية وأيدولوجيتها الخاصة بترسيخ مقومات ودعائم السلام.

الدكتور إسماعيل ابابكر البامرني

مفهوم السلام في الإسلام

السلام حالة من الاستقرار والاطمئنان الذي يعيشه المجتمع والأفراد ويتمتع الفرد فيه بكافة حقوقه ويمارس واجباته والتزاماته دون ضغط أو إكراه.

مفهوم السلام

السلام لغة: السّلم (بفتح السين وكسرها) مأخوذ من مادّة (س ل م) الّتي تدلّ على الصّحّة والعافية في كلّ ما اشتقّ منها. قال ابن فارس: ومن هذا الباب: السّلم بمعنى الصّلح، وهو يذكّر ويؤنّث، قال تعالى: ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)) (الأنفال/ 61).

وقال الرّاغب: السّلم والسّلامة: التّعرّي من الآفات الظّاهرة والباطنة، والسّلام والسّلم والسّلم: الصّلح ... وقال ابن منظور: من معاني السّلم: الاستسلام. والتّسالم : التّصالح، والمسالمة: المصالحة. والسلم من الاستسلام والانقياد وهو الصلح ومنه كتابه صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار: وإنّ سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن، أي لا يصالح واحد دون أصحابه، وإنّما يقع الصّلح بينهم وبين عدوّهم باجتماع ملئهم " أي مجموعهم" على ذلك[1]. ومنه القلب السليم كما جاء في القران الكريم ((يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)) فهو كلّ عبد سلم عن الغشّ والحقد والحسد، وسلم قلبه عن إرادة الشّرّ، وجوارحه عن الآثام والمحظورات، وسلم عقله من أسر الشّهوة والغضب، فهو الّذي يأت الله تعالى بقلب

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (6/ 2272)

سليم، وهو السّلام من العباد، أمّا السّلام المطلق الحقّ فهو الله عزّ وجلّ وحده[1].

قال الكفويّ: السّلم (بالكسر والسّكون) ضدّ الحرب، وهو أيضا الإسلام، والسّلم بمعنى الصّلح يفتح ويكسر، ويذكّر ويؤنّث. قال ابن كثير: السّلم: المسالمة والمصالحة والمهادنة ... وقال أبو عمر: والسّلم بالفتح الصّلح، والسّلم بالكسر ـ الإسلام. قال الفيروز آباديّ: والسّلام والسّلم والسّلم: الصّلح. وقوله: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً (النساء/ 94) قيل: نزلت فيمن قتل بعد إقراره بالإسلام ومطالبته بالصّلح[2].

فالسلم والسلام له معاني عدة، فقد يأتي السلام بمعنى سلامة الإنسان من أذى الغير وظلمه وعدوانه. وقد يأتي السلام بمعنى الصلح بعد الحرب والخصومة وانتهاء العداوة. وقد يأتي السلم أيضا بمعنى المهادنة أي عدم الحرب بين المتخاصمين وإن ظلت العداوة بينهما باقية مستمرة، فهي حالة وقف للقتال دون إنهاء للعداوة.

مفهوم خاطئ للسلام

ليس صحيحا أن يعرف السلام بأنه الاستعداد واتخاذ كل الوسائل المادية والمعنوية التي ترهب العدو، وتمنعه من الاعتداء والمحاربة والقتال الذي يهدد النفس والعقيدة والأوطان. فالسلام هو أن تكون مسالما مع الغير فليس إرهاب الأعداء من السلام والإسلام في شي. وإرهاب العدو ليس سلما أبدا وإنما هو وسيلة لمنع اعتداءه وردعه

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (6/ 2273)

[2] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (6/ 2273)

ووقفه من الظلم والتجاوزات. وأما السلم فهو أن تمد يد السلم والأمن إلى الآخرين وتعيش معهم في جو من الأمان[1].

نعم إن إعطاء معنى إرهاب العدو وإخافته دون وجه حق ودون أي مبرر تقتضيه مصلحة الدولة بأنه سلام هو قول في غاية من الإجحاف والخطأ، لأن هذا المفهوم لا يجوز أن يكون إلا إذا كان هناك ثمة عدو متربص، فهنا لا يشك أحد في مشروعية وجواز اتخاذ كافة الوسائل لمنع الاعتداء وعدم وقوع الحرب، أما أن تكون هناك مبادرة للإرهاب من قبل المسلمين كفلسفة وأيدولوجية إسلامية استنادا إلى قوله تعالى ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60))) ودون أن يكون هناك أي مبرر وحاجة إليه، فهذا ما لا يفهم من القران الكريم، ولم يعرف هذا من السنة النبوية الشريفة، ولا سار عليه أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

السلام حالة من الاطمئنان والاستقرار

عليه يمكن القول إن السلم هو حالة من الاطمئنان والاستقرار النفسي الذي يعيشه المرء منفردا أو مع غيره في أسرته ومجتمعه. وهو شيء من الكمال الذي يصبو إليه الناس في حياتهم فيكونوا هو وغيره في أمان من أي أذى أو شر يلحق به. فالسليم من كف أذاه وشره عن الناس ومن أمن الناس من غضبه وظلمه.

---

[1] السلام في الإسلام، مبادئ ... مفاهيم ... تطبيق، إعداد، جيهان أحمد عثمان حسين، ص 8

فالسلم **حالة أو وضع ليس فقط مقتصرا على غياب حالة الحرب فيه عن أنظار الناس،** وإنما هو حالة من الاستقرار والأمن الذي يكون المرء بأمس الحاجة إليه كي يحقق ذاته وشخصيته وكيانه، ويكون في مأمن من اعتداء الغير عليه في نفسه أو ماله، ويصل إلى حقوقه دون أية عراقيل أو معوقات. ويكون الكل فيه متساوون دون أي تمييز على أساس الجنس أو العرق أو اللغة أو الدين، بل الكل متساوون بناء على مبدأ وضابط العدالة في الحقوق والواجبات.

فالسلام السلبي الذي يعني فقط حالة من غياب الحرب ليس كافيا لأن يحقق الرفاهية والأمن والطمأنينة، بل المقصود هو السلام بنوعه الإيجابي الذي يفسر بأنه ليس فقط حالة من إنهاء الصراع بل هو حالة من التفاهم والتعاون بين الأطراف التي تنازعت فيما بينها.

وفي نظرنا فإن السلام الايجابي قد يشمل أيضا الحفاظ على الوضع الطبيعي المستقر والآمن بين المكونات المتنوعة كي لا تتنازع فيما بينها مستقبلا. فهو حالة استمرار للسلام أو بقاء للوضع على صورة السلام وذلك بمنع النزاع.

الإسلام والسلام واحد

جاء في مفهوم السلام بأنه "كلمة جامعة لمعاني عدة تدور حول استقرار نفسي ومجتمعي يحققه حسن المعاملة مع الغير في جو من الخلاص والسلامة والنقاء من كل ما يدفع الناس إلى الشر- والعدوان"[1].

والذي يبدو أن هذا المعنى والمفهوم للسلام هو ما يمكن استنباطه من تلك الأحكام والآداب التي تفرضها الشريعة الإسلامية على المسلمين وتلزمهم بإتباعها، فأحكام الشريعة لم تفرض هكذا عبثا، بل

[1] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/ 126)

لحكمة وغاية وتحقيقا لمصلحة أو درءا لمفسدة، وهذا ما سنتحقق منه لاحقا.

فمن خلال النظر إلى مفهوم الإسلام للسلام يمكن القول بأنه " حالة من الاستقرار والأمن وعدم القلق والفوضى التي يخاف فيها المرء على نفسه أو ماله أو نفس أو مال أحد من ذويه أو من سائر من يحيطون به وإن لم تكن له صلة قرابة بهم ونقصد بذلك المجتمع بكل مكوناته. فالسلام والأمن في الإسلام ليس فقط مرتبطا بعدم وجود حالات إراقة الدماء والنهب والدمار فقط، إنه مفهوم أوسع من ذلك بكثير.

إنه سلم مع النفس وسلم مع الغير وسلم مع الزوج وسلم الأصول والفروع، وسلم مع المجتمع بكافة مكوناته وطوائفه وانتماءاته، إنه سلم مع الدولة، إنه سلم حتى مع الجماد والحيوان، إنه سلم مع البيئة وسلم مع كل مقدرات هذا الكون التي سخرها الله تبارك وتعالى للإنسانية كلها دون استثناء. ولا ننسى أولا وآخرا فإنه سلم مع الله عز وجل الذي وصف ذاته العلية بأنه هو "السلام المؤمن".

وبالتالي فإنه سلم يتجاوز وقف الحرب ليشمل مد الجسور وبناء العلاقة مع كافة الأطراف لينهض الإنسان ويبدأ نمطا جديدا من الحياة أساسه التعاون على البر والتقوى لا التعاون على الإثم والعدوان.

الرسول (ص) يوضح معالم السلام

إن مفهوم السلام الذي سبق ذكره هو ذات المفهوم الذي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسخه في نفوس المسلمين وهو يريد منهم أن يتعلموا الإسلام ويعلموه الناس ويجعلوه واقعا لحياتهم.

إن مضمون تعريف السلام هو ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وحث المسلمين عليه بقوله عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [1].

فالمسلم إذن هو ذاك الشخص الذي يجب أن يسلم الناس من إيذاءه، والسلام والسلم ليس إلا امتناعا عن إيذاء الآخرين، انه إيذاء ممنوع سواء أكان إيذاء للنفس أو اعتداء على المال أو العرض. وهل يتحقق السلم والسلام إلا بالامتناع عن إيذاء الآخرين.

فقوله عليه الصلاة والسلام من سلم الناس (من لسانه) أي بالشتم واللعن والغيبة والبهتان والنميمة والسعي إلى السلطان وغير ذلك، (ويده) بالضرب والقتل والهدم والدفع والكتابة بالباطل ونحوها، وخصا بالذكر "اليد واللسان" لأن أكثر الأذى بهما، أو أريد بهما مثلاً، وقدم اللسان لأن الإيذاء به أكثر وأسهل، ولأنه أشد نكاية[2].

سلم لا يقتصر على المسلمين

ولرب قائل أن يقول أن هذا الحديث يمنع إيذاء المسلم للمسلم، إذ يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ..." وهل من الممكن أن يتحقق السلم والأمن فقط في أن يمتنع المسلمون عن إيذاء المسلمين فقط؟ وهل يجوز لهم الاعتداء على غير المسلمين؟

إن ظاهر هذا الحديث يفيد أن الأمر محصور فقط في كف الأذى عن المسلمين وليس هناك أية إشارة إلى أن هذا النص النبوي الشريف

---

[1] الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ج1، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا، ص13.

[2] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (48/1)

عام يشمل المسلم وغير المسلم، إذن فما هو موقف الإسلام من إلحاق الأذى بغير المسلم؟

الجواب على ذلك وبوضوح تام هو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث فصل فيه حرمة الاعتداء على الناس عامة مسلمين كانوا أم غير مسلمين، بل بمجرد أن يكون المعتدى عليه من الناس يكون ذاك الاعتداء بأية وسيلة من الوسائل أمر محرم في شريعة الإسلام. فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ"[1].

لذلك قال العلماء إن حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام (من سلم المسلمون) قد خرج على الغالب وإلا فغير المسلمين من أهل الذمة وغيرهم كذلك يجب كف اليد عنهم واللسان[2].

إذن فالحديث واضح تماما، ولا يترك أي مجال للتفسير والتأويل والاجتهادات الضيقة، ولنعرج الان على شرح الحديث الذي حدد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام معالم وصفات الشخصية المسلمة والشخصية المؤمنة، فالحديث يتكون من شقين أحدهما يوضح ويبين الشخص المسلم وأما الشق الآخر فيبين الشخص المؤمن.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى في الشق الأول من الحديث المعنى والمفهوم الحقيقي لصورة وشخصية المؤمن فبين أنه "من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم" وفسر المؤمن بأنه الذي يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم؛ فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به، أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعاية الأمانات،

---

[1] شرح السنة للبغوي (1/ 29)

[2] ينظر التنوير شرح الجامع الصغير (581/2)

والصدق في المعاملات، والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم. ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه، وأمنوه على دمائهم وأموالهم. ووثقوا به، لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات، فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان [1].

إن قوله عليه الصلاة والسلام (مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ) : كَعَلِمَهُ أَي ائْتَمَنَهُ، يَعْنِي جَعَلُوهُ أَمِينًا وَصَارُوا مِنْهُ عَلَى أَمْنٍ (عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) لِكَمَالِ أَمَانَتِهِ وَدِيَانَتِهِ، وَعَدَمِ خِيَانَتِهِ، وَحَاصِلُ ذلك إِنَّمَا هُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى تَصْحِيحِ اشْتِقَاقِ الِاسْمَيْنِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ يُطَالِبَ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ فَهُوَ كَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَرِيمٌ وَلَا كَرَمَ لَهُ[2].

ثم إن لفظ الناس هنا عام يشمل المسلم وغير المسلم، فالمؤمن من كان المسلمون وغير المسلمين في مأمن منه على أنفسهم "أرواحهم" وعلى أموالهم، فأي اعتداء وبأية وسيلة كانت على الناس عامة يسلب الإنسان صفة المؤمن. يؤيد ما قلته من أنه يسلب صفة الإيمان ما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عام ومطلق يتحدث فيه عن كيف أن صور الإيذاء تسلب المؤمن صفة الإيمان فقد روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي العَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ: «هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[3].

---

[1] بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد (ص: 23-24)

[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 107)

[3] صحيح البخاري (8/ 164)

بل إن الأمر قد يتعدى ذلك فقد جاء في فيض الباري على صحيح البخاري تعليقا على حديث "الإيمان بضع وستون شعبة" ما نصه "واعلم: أن بعض الأخلاق الحسنة التي هي مبادئ للإيمان مقدَّمة على الإيمان، يجيءُ عليها لون الإيمان كالأمانة، ولذا قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانَةَ لَهُ» فالأمانةُ متقدِّمةٌ على الإيمان، وينبغي أن يقدَّم عليه الحياء أيضًا، إلا أنه لما عُدّت توابعُ الإيمان مع الإيمان، جُعِلَ شعبةً منه في الحديث، وكالجزء في التعبير فقط، والله تعالى أعلم[1].

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن) . قيل ومن يا رسول الله؟ قال (الذي لا يأمن جاره بوائقه)[2]. وجاء في التعليق على هذا الحديث توضيحا لمعنى يأمن بأنه "من الأمان وهو السلامة من الشيء"[3].

وقد جاء هذا الحديث برواية أخرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[4]. ولا شك أن المسلم الحق لا يرجو من الله سوى جنته ورضوانه وهو إن لم ينطبق عليه وصف الإيمان والأمن فلن يدخله الله الجنة، وقد جاء في شرح هذا الحديث في كتاب الأدب النبوي "البوائق: واحدتها بائقة وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد يوافي المرء بغتة". ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من هذا خلقه، وتلك دخيلته مع جاره- غير مؤمن، وأكد ذلك بالحلف والتكرار ثلاث مرات،

---

[1] فيض الباري على صحيح البخاري (1/ 153)

[2] صحيح البخاري (5/ 2240)

[3] صحيح البخاري (5/ 2240)

[4] صحيح مسلم (1/ 49)

وهل المؤمن إلا من أمنه الناس على دمائهم؛ وأموالهم؛ وأعراضهم. **وهل الإيمان إلا من الأمن**[1].

ثم يأتي الرسول صلى لله عليه وسلم وهو يوضح ويحدد معالم الشخصية المسلمة في الشق الثاني من الحديث فيقول "وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" إن المسلم أيضا هو ذاك الشخص الذي يسلم عامة الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين من أذى لسانه وأذية يده، إن المسلم لا يجوز أن يلحق الأذى بغيره أيا كان هذا الغير وأيا كان نوع الإيذاء. انه ليس له أن يفسق الآخر، ولا أن يقلل من شأنهم، ولا أن يحتقرهم، ولا أن يطعن فيهم، فالله عز وجل يقول "لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن" فالله تعالى يَنْهَى عَنِ السُّخْرِيَةِ بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الكِبْر بَطَرُ الْحَقِّ وغَمْص النَّاسِ" وَيُرْوَى: "وَغَمْطُ النَّاسِ" وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ"[2].

وبهذا الأدب يرتفع المجتمع إلى أعلى مراتب الرقي حيث كرامة الجميع مصونة. جاء في ظلال القران "إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس. وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة[3].

---

[1] الأدب النبوي (ص: 117)

[2] تفسير ابن كثير ت سلامة (7/ 376)

[3] جاء في ظلال القران " في ظلال القرآن (6/ 3344)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللِّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ"[قال الشيخ الألباني]: صحيح[1]. وإذا كان لا يجوز له أن يؤذي الغير باللسان فإنه ممنوع من أن يؤذي الغير باليد من باب أولى.

إذن فليس هناك أي مجال من أن يقال بأن سلم المسلمين يكون مع المسلين أنفسهم فقط، إنه حقا سلام عام يشمل البشرية جمعاء. ومن أجل هذه الرحمة بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعا يقول الله تعالى ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)).

ولا أجد أجمل ما جاء في كتاب فيض الباري على صحيح البخاري وهو يشرح معنى السلام مأخوذا من كلمة ومادة الإسلام، إذ جاء فيه وهو يشرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" إن هذا الحكم قد أخذته الشريعة من الاشتقاق، أي اشتقاق كلمة السلام، فالمسلم مَنْ سَلِم الناس من إيذائه، وذلك لأنه وُجِد فيه مأخذ الاشتقاق، وأما من آذى الناسَ وَلم يَسْلَم منه الناس، فلم يوجد فيه مأخذُ اشتقاقِ الإسلام، فكأنه ليس بمسلم، وهذا على نحو ما تقول: إن العَالَم من اتصف بالعلم. والضارب من اتصف بالضربِ. فكذلك المسلم من اتصف بوصف السلامة. وعلم منه أن الإسلام كما هو معاملة مع الله سبحانه، كذلك معاملة مع الناس أيضًا. واعلم أن الإسلام حقيقتُهُ ما يعبر عنه، بأن نقول: اطمئنَ أنت مني وأنا مُطمئنٌ منك، لأنه كان من عاداتهم قبلَ الإسلام: سفكُ الدماء، وهَتْكَ الأعراض، ونهبُ الأموال، فلما نزلت الشريعةُ أرادات أن تُعينَ لفظًا بإزاء ذلك المفهوم، ليدل عند أول قرع السَّمْع على الأمن، وهو

[1] الأدب المفرد مخرجا (ص: 122)

لفظُ الإسلام، ليصيرَ الناسُ في الأمن بعد الخوف، والاطمئنان بعد الفزع[1].

أسلم المؤمنين من كان مسالما لغيره

إن المعالم التي ذكرت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي التي تحدد الشخصية المسلمة السالمة، بل إنها تعد من أسلم الشخصيات المسلمة فقد جاء في رواية أخرى عن أبي ذر أنه قال "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا قَالَ: "أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا" قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ **فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمُ**؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"[2]. إن هذا الحديث يوضح معنى آخر ويبين حكما جديدا بل إنه يرشد الناس إلى سلوك طريق السلامة، فالرسول عليه الصلاة والسلام يبين كيف يكون المسلم سالما وآمنا، فهو حينما يقول "أسلم المؤمنين" فهو يريد بذلك والله أعلم المسلم الذي هو قد سلم من إيذاء واعتداء الغير وسلم منه الناس، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول إن أردت أن تكون سالما وآمنا فعليك بكف الأذى عن الناس، فلا تؤذهم بلسانك ولا بيدك.

إن امتناع المسلم عن إيذاء الغير هو في الوقت نفسه منع للإيذاء به من الغير، وهنا يتحقق معنى أسلم المؤمنين. فإذا لم يكن من الشخص اعتداء ولا إيذاء تجاه الغير فلن يقوم غيره بالاعتداء عليه.

وأية مخالفة لهذه المعاني السامية التي يجب أن تتحلى بها الشخصية المسلمة فإنما تكون علامة وإشارة واضحة وفاضحة له وتجعله في خانة الكاذبين، فقد جاء في كتاب الأدب النبوي وهو يتحدث عمن يدعي الإسلام والإيمان وهو يحدث ويلحق الأذى بالغير

---

[1] كتاب فيض الباري على صحيح البخاري ج ص 153.

[2] موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص: 52)

"فإن كان يحمل لقب الإسلام أو الإيمان فهو لقب مكذوب؛ ونعت مسروق"[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا خير فيها هى من أهل النار) وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هي من أهل الجنة) [2]. إنه توضيح في قمة الروعة فالصلاة ليلا والصيام نهارا والصدقة مرارا وتكرار لا يمنع الشخص من دخول النار لو كان مؤذيا. إنه هو ذاته الإيذاء الذي يسلب الشخص حق الدخول في جنات النعيم.

ألا فلنكف أيدينا عن إيذاء الناس لو كان مرادنا وغايتنا هو دخول الجنة ورضا الله عز وجل.

لا إيمان لمن أمن منه

إن الْإِيمَان وَالْأَمَانَة وَالْأَمْن إِخْوَان بِحَيْثُ كَانَ لَا وُجُود لِلْإِيمَانِ بِدُونِ الْأَمَانَة أَوْ الْأَمْن فَمَنْ كَانَ أَمِينًا بِحَيْثُ يَأْمَنهُ النَّاس عَلَى أَمْوَالهمْ وَنُفُوسهمْ وَلَا يَخَاف مِنْهُ عَلَى مَال أَحَد وَلَا عَلَى نَفْسه فَذَلِكَ الْحَقِيق بِأَنْ يُسَمَّى مُؤْمِنًا[3].

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (لا إيمان لمن لا أمانة له) فإن المؤمن من أمنه الخلق على أنفسهم وأموالهم، فمن خان وجار فليس بمؤمن، أراد نفي الكمال دون الحقيقة، قاله المناوي. وقال القاري:

---

[1] الأدب النبوي (ص: 129)

[2] الأدب المفرد بالتعليقات (ص: 63)

[3] حاشية السندي على ابن ماجه (7/ 307)

انتفى كمال الإيمان بانتفاء الأمانة؛ لأنه يؤدي إلى استباحة الأموال والأعراض والأبضاع والنفوس، وهذه فواحش تنقص الإيمان وتقهقره إلى أن لا يبقى منه إلا أقله بل ربما أدت إلى الكفر.[1].

فالمؤمنُ إذن هو من يأمن الناس منه على دمائهم وأموالِهم، فمفهوم الأحاديث المارة الذكر يشير إلى انتفاء اسم الإسلام والإيمان عند عدمِ سلامة الناس، وعدم الأمن منه، فمن كان مسلمًا ينبغي أن يشهدَ له عملُهُ، وهو سلامةُ الناس من لسانه ويده، ومن كان مؤمنًا يجب أن يأمَنَه الناسُ على دمائهم. وبدون ذلك، إسلامه وإيمانه، غير مصدَّقٍ من العمل، وإذا لم يصدَّق عمله، فإذن هو أمرٌ يدَّعيه هو، ولا ندري أهو كذا أم لا؟[2].

شر الناس من تركه الناس مخافة إيذاءه

عن عائشة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: إن شر الناس من تركه الناس أو وادعه الناس اتقاء فحشه[3]. فقوله صلى الله عليه وسلم ودعه: تركه... فالناس في الآخرة منازل. كما كانت أعمالهم في الدّنيا منازل وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا فأحسن الناس عملا أعلاهم درجة وأرفعهم منزلة. وأسوأهم عملا أدناهم درجة، وأحطّهم منزلة. وبين هذين درجات متفاوتة ومنازل مختلفة بحسب اختلاف الأعمال وتفاوتها.

وفي هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس ووادعوه وفارقوه وسالموه لا لأنه لا خير فيه ولا منفعة ترجى من ورائه. بل اتقاء شره وحذر ضره وبغيه،

---

[1] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 105)

[2] فيض الباري على صحيح البخاري (1/ 131)

[3] صحيح البخاري (5/ 2250).

فهم لا يأمنون إذا كاشفوه بحاله، أو نصحوه ليرعوي[1] عن ظلمه أو جالسوه وخالطوه أو قابلوا سيئه بالسيئة. لا يأمنون أن يرميهم بالمقذعات[2]. ويدبر لهم المكيدات التي تضرهم في نفوسهم أو أعراضهم وأموالهم أو مناصبهم ومراكزهم، فهو أفاك أثيم، مجرم شرير؛ لا يتحامى[3] منكرا، ولا يجافي مأثما[4].

وقد جاء هذا الحديث بروايات عدة كلها تشير إلى أن أكثر الناس شرا من خاف الناس مصاحبته ومن ابتعد منه الناس ومن عزله الناس لا لشيء إلا مخافة شره وأذاه وظلمه ومن تلك الروايات «إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تُرِكَ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ» وجاء في رواية أخرى «مَنْ يَخَافُ النَّاسُ شَرَّهُ»[5].

إن هذه المعاني تحدد معالم الشخصية غير المسالمة والتي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من انتشارها بين المسلمين. ووضع لها أكثر المنازل شرا يوم القيامة، لذا كان يجب أن يتجرد منها المسلمون.

وأنا أفهم من هذا الحديث أيضا أن الشخص الذي يتخوف من شره فإنه يخلق في نفوس أصحابه وقرناءه الرهبة منه، وبالتالي يلجأون إلى سلوك لا يحبذه الإسلام بل ينهى عنه، إنه العداوة الباطنة، أي الشخصية البغيضة المتقمصة رداء الصداقة والوداعة والتحابب، حيث يسالمون ذاك الشخص ويوادعونه لا محبة به ولكن خوفا من شره.

---

[1] "أي لا يكف ولا ينزجر"

[2] المقذعات: الشتائم المستقبحة.

[3] يتحامى: يتجنب.

[4] ينظر الأدب النبوي (ص: 128)

[5] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (7/ 3034)

أفضل المسلمين إسلاما

إن الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن بين صفة المسلم وما ينبغي أن يكون عليه من السلم، فقد وصف ذلك المسلم الذي التزم سنته وكف أذاه عن الناس بأنه من أفضل المسلمين وأن إسلامه هو أفضل الإسلام، ولا يرجو المسلم الحق شيئا أكثر من أن يكون من أفضل الناس، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحبذ صفة المسلم الفضيل إلى الناس "**أفضل المسلمين إسلامًا** من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله -عز وجل"[1].

[1] التنوير شرح الجامع الصغير (2/ 581)

أهمية السلام في الإسلام ومكانته

نظرا لأهمية السلام وضرورة وجوده في المجتمعات قاطبة دون استثناء فقد أشار القران الكريم إلى السلام والأمن في أكثر من آية قرآنية في مواضع الامتنان على البشر من مسلمين وغير مسلمين، ومن تلك الآيات:

قال تعالى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}-قريش: 3-4 ، فالآية الكريمة تشير إلى أن الله انعم على قريش بنعمة الأمن من الخوف والإطعام بعد الجوع وأن هذه النعمة من شانها أن توجب على قريش تذكر تلك النعمة والقيام بعبادة الله جل وعلا.

قال الله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }النحل112. إن الآية الكريمة تؤكد على أن من ثمرات الإيمان هو الأمن والسلم ونقيضه هو الخوف والجوع. فالأمن في المجتمعات يكون سببا لرفاهيتها من حيث وفرة الرزق الرغيد ومن كافة النواحي فالرزق والرفاهية أمر مرهون بالسلم والأمان.

ولهذا أقسم الله جل وعلا بالبلد الأمين في قوله تعالى: ((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ{1} وَطُورِ سِينِينَ{2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ{3})) التين 1-3.

وتأكيد لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له

الدنيا بحذافيرها"[1]. فهذا يدل على أن الأمان والسلام من أركان السعادة في الدنيا. ففي الحديث الشريف إشارة واضحة إلى مكانة السلم في الإسلام إذ الأمن والسلم لو كان من نصيب الشخص كان قرير العين مرتاح البال. وقد جاء في شرح هذا الحديث (من أصبح منكم آمنا في سربه) بكسر السين على الأشهر أي في نفسه، وروي بفتحها أي في مسلكه، وقيل بفتحتين أي في بيته (معافى في جسده) أي صحيحا في بدنه (عنده قوت يومه) أي غذاؤه وعشاؤه الذي يحتاجه في يومه ذاك، يعني من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه، حيثما توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتر عن ذكره (فكأنما حيزت) بكسر المهملة (له الدنيا) أي ضمت وجمعت (بحذافيرها) أي بجوانبها أي فكأنما أعطي الدنيا بأسرها ومن ثم قال نفطويه:

إذا ما كساك الدهر ثوب مصحة. . . ولم يخل من قوت يحلى ويعذب

فلا تغبطن المترفين فإنه. . . على حسب ما يعطيهم الدهر يسلب

وقال:

إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن. . . وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن[2].

---

[1] الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ج4،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ص 574.

[2] فيض القدير (6/ 68)

مكانة السلام في الإسلام

الإسلام كلمة مشتقة من مادة السلام، والإسلام هو دين الله تعالى الذي يجمع كل شرائع وعقائد الأديان السابقة التي أُنزلت على الرسل السابقين عليهم السلام، وهو خاتم الأديان، وهو الدين عند الله تعالى الذي سيقبله من كل عباده. يقول الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ } آل عمران 19.

والسلام وإن كان اسما من أسماء الله تعالى فهو في الوقت نفسه اسم للإسلام. الذي يحث الله تبارك وتعالى الناس للدخول فيه، قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً} البقرة208. والمراد بـ «السِّلْم» في الآية الصُّلح، وتركُ المحاربةِ والمُنَازَعةِ[1]. فالله عز وجل في هذه الآية "كلّف المؤمن بأن يسالم كل أحد"[2].

فالإسلام سمى نفسه سلما امتداد لذلك الاسم الذي سميت به جميع الشرائع من قبل {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ} آل عمران19.

ويمكن القول إن السلام هو الأمر الذي اتفقت جميع الشرائع السماوية من ادم والى النبي محمد عليه الصلاة والسلام على أهميته وضرورته.

ومكانة السلام في الإسلام تأتي من اسم الله تعالى فقد سمى نفسه بالسلام {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} الحشر: 23.

"قال ابن قتيبة: سمى نفسه سلاماً؛ لسلامته مما يلحق المخلوق من العيب والنقص والفناء، وقال الخطابي: معناه ذو السلام، والسلام

---

[1] اللباب في علوم الكتاب (3/ 477).

[2] اللباب في علوم الكتاب (3/ 477).

في صفة الله تعالى هو: الذي سلم من كل عيب، وبرأ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين، وقد قيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه". وهذا القول الأخير لا يخالف الذي قبله، بل كلاهما يدخل في اسمه تعالى: السلام. قال ابن كثير: "السلام من جميع العيوب والنقائص، بكماله في ذاته وصفاته وفي أفعاله".

فالسلام من الكلمات الجامعة، وحقيقته: البراءة الخلاص والنجاة من الشر والعيوب، وعلى هذا المعنى تدور تصاريف هذا اللفظ، فمن ذلك: سلمك الله، وسلم فلان من الشر، ومنه دعاء الرسل على الصراط: "اللهم سلم سلم" وسلم الشيء لفلان، أي: خلص له وحده من ضرر الشركة فيه، قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ} سورة الزمر- 49. أي: خالصاً له وحده لا يملكه معه غيره. والسلم ضد الحرب، قال تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}؛ لأن كل واحد من المتحاربين يسلم من أذى الآخر ويخلص منه، والقلب السليم هو: النقي من الغل والدغل، الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغله، ودغل الذنوب والمخالفات، فاستقام على حب الله وحسن معاملته، ولذلك ضمن له النجاة من عذابه، والفوز بكرامته.

والجنة دار السلام، أي: دار السلامة من كل آفة ونقص وشر، فإطلاق السلام على الله تعالى اسماً من أسمائه، أولى من هذا كله، وهو أحق بهذا الاسم من كل مسمى به؛ لسلامته تعالى من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو -تعالى- السلام الحق بكل اعتبار، سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم. وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، فهو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه، ونزهه به رسوله، فهو

السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكفء والسمي والمماثل، والسلام من الشريك.

فحياته -تعالى- سلام من الموت والسنة والنوم، وقيوميته وقدرته سلام من الحاجة والتعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر أو تفكر، وإرادته -تعالى- سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته -تعالى- سلام من الكذب والخلف والظلم، بل تمت كلماته صدقاً وعدلاً، وغناه - تعالى - سلام من الحاجة إلى غيره في وجه من الوجوه، بل كل ما سواه فقير إليه محتاج، وملكه - تعالى - سلام من منازع فيه أو مشارك، أو معاون مظاهر، أو شافع عنده بدون إذنه، وإلهيته - تعالى - سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو، وحلمه، وعفوه، وصفحه، ومغفرته، وتجاوزه، سلام من أن تكون عن حاجة، أو ذل، أو مصانعة، كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه[1].

أطلق الله تعالى على الجنة اسم (دار السلام) لتكون مستقرا لمن يستحقها ممن امن بالله وعمل صالحا {وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} يونس25.

فقوله سبحانه وتعالى: وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا إلى داره والله يدعو إلى دار السلام.

قال قتادة: الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغيير. وقيل: إنه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لأن الخلق سلموا من ظلمه. وقيل: إنه تعالى يوصف بالسلام

[1] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/ 125-126)

بمعنى ذي السلام أي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات إلا هو.

وقيل: دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة. والمعنى: أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات، كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد. وقيل: سميت الجنة دار السلام لأن الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم. قيل: إن من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده، أن دعاهم إلى جنته التي هي دار السلام [1].

قال عطاء: "لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ" يعني الجنة في قول جميع المفسرين. قال الحسن والسدي: السلام هو الله تعالى وداره الجنة[2].

فالسَّلام صفة الدَّار أي صفة الجنة بمعْنَى: دَارِ السَّلامةِ، والعرب تُلْحِقُ هذه الهَاءَ في كثير من المَصَادِر وتحذفُها، يقولون: ضَلاَلَ وضَلاَلَة، وسَفَاة وسَفَاهَة، ورَضَاع ورَضَاعة، ولَذاذ ولَذَاذَة. وقيل: السَّلام جمع السَّلامةِ، وإنَّما سُمّيت الجَنَّة بهذا الاسْمِ؛ لأن أنواع السَّلامة بأسْرِها حَاصِلَة فِيهَا[3].

ويقول الثعلبي في تفسير "دار السلام" أنها سميت بذلك: لأن من دخلها سلّم من البلايا والرزايا أجمع... وقيل: سميت بذلك لأن كل حالة من حالات أهلها مقرونة بالسلام فأما ابتداء دخولها فقوله ((ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ)) وبعد ذلك قوله ((وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ)) الآية. وبعده قوله ((وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ)) وبعده قوله ((لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً)) وقوله ((لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً)) وبعده قوله ((تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ))

---

[1] تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 438).

[2] تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 156)

[3] اللباب في علوم الكتاب (8/ 427).

وبعد ذلك ((سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)). فلما كان حالات أهل الجنة مقرونة بالسلام إما من الخلق وإما من الحق سمّاها الله دار السلام وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ناصرهم ومعينهم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ[1].

فلا مكروه يلحقهم في هذه الدار فالكل يعيش في جو من السلام والأمان. فالكل في الغرفات آمنون. آمنون من كل خوف وكل نقيصة وكل مكروه كان يصيبهم في الدنيا.

إن تحية المسلمين فيما بينهم هي السلام وهي تحيتهم في الدنيا والآخرة، والمسلم في كافة أحواله ملزم بأن يكون ملتزما بأوامر الله تبارك وتعالى وأن يتدبر في أسمائه وصفاته جل وعلا فيأخذ منها منهجه للحياة، فكل صفة من هذه الصفات يلزم المسلم بأحكام في حياته ويفرض عليه سلوكا خاصا ومتميزا سواء مع نفسه أو مع غيره.

إن الله عز وجل حينما جعل السلام تحية للمسلمين في الدنيا والآخرة وجعلها سلاما لهم مع الجميع دون استثناء لم يكن ذلك عبثا، فالله عز وجل منزه عن العبثية في أفعاله وأحكامه، وإنما كان ذلك لأمر وغاية ومقصد مهم ألا وهو أن يتعود الناس اسم السلام ويستوعبوا معناه فيجعلوه واقعا وحالة دائمة فيما بينهم، إن العيش في ظل تحية كلماتها ومعناها تشمل " السلام والرحمة" لجدير بأن يؤثر على نمط الشخصية ويغير من سلوكها فيجعل منها سلوكا يتأقلم مع السلام وما تحمله هذه الكلمة من معان جليلة وسامية، وقد سبق وقد تحدثنا عن معنى اسم الله عز وجل الذي هو السلام وما حمله وتضمنه هذا الاسم من معان بالغة في السلم وأن هذا الاسم وهذه المعاني هي المراد منها في التحية المفروضة بين المسلمين، فكما هو واجب على المسلمين في التعامل مع اسم الله الذي هو السلام فإنه يجب عليهم أن يتعاملوا مع التحية فيما بينهم والتي هي "السلام

[1] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/ 189-190).

عليكم ورحمة الله وبركاته" يؤيد ما قلناه ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم "إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم"[1].

وما نقوله من أن معنى التحية هي ما أراده الله من معاني السلم الذي يتضمنه اسمه جل وعلا ليس بجديد بل هذا هو ما تضمنه كتب فقهائنا القدامى فقد جاء في كتاب فيض القدير إن معنى السلام عليك "سلامة لك مني وأمان"[2].

قال ابن عباس: "السلام اسم الله، وهو تحية أهل الجنة" أخرجه البيهقي في "الشعب". وقد اختلف في معناه، فنقل عياض أن معناه: اسم الله، أي: كلاءته عليك وحفظه، كما يقال: الله معك ومصاحبك.وقيل: معناه: أن اسم الله يذكر على الأعمال، توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيها، وانتفاء عوارض الفساد. وقيل: معناه: السلامة، كما قال تعالى: {فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أن المسلم أعلم من سلم عليه أنه سالم منه، وألا خوف عليه منه، قلت: هذه المعاني متلازمة؛ لأنه إذا حصل حفظ الله لعبده وكلاءته، وكان معه، فقد حصل له الخير والبركة والسلامة.

قال ابن دقيق العيد: "السلام يطلق على معان، منها السلامة، ومنها التحية، ومنها أنه اسم من أسماء الله -تعالى-، قال: وقد يأتي بمعنى التحية محضاً، وقد يأتي بمعنى السلامة محضاً وقد يأتي متردداً بين المعنيين، كقوله -تعالى-.. (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم) ، فإنه يحتمل التحية والسلامة، وقوله -تعالى-: {وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ {57} سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ}.

---

[1] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/ 122)

[2] فيض القدير (2/ 281)

عليه يمكن إرجاع هذه الإطلاقات إلى معنى واحد، إذ كلها في الحقيقة تدور على طلب السلامة، والخلاص من الشر والأذى، وهذا ما تضمنته التحية المشروعة بين المسلمين.

فالصواب: أن السلام أسم من أسماء الله -تعالى- كما تقدم، وقد أمر المسلمون أن يفشوه فيما بينهم، فعندما يلقي المسلم على أخيه ذلك، فإنه يذكر الله -تعالى-، طالباً منه السلامة، متوسلاً إليه بذكر اسمه- تعالى- المناسب لطلبه، فكأنه يقول: أنا مسالم لك أيها الأخ محب، وداع لك، وطالب حصول البركة والخير، والسلامة من كل مؤذ، ممن يملك ذلك، متوسلاً إليه في حصول ذلك باسمه السلام. فتضمن السلام الذي هو التحية ثلاثة أشياء:

أحدها: ذكر اسم الله –تعالى.

الثاني: إعلام المسلم عليه: أنه مسالم له لا يناله منه أذى.

الثالث: طلب السلامة والخير له، وبهذا يظهر أن قول من قال: إنه يطلق على التحية بين المخلوقين، أنه لا يخالف كونه اسماً من أسماء الله، أي أنه ليس قسيماً له، بل التحية الواقعة بين المؤمنين هي ذكر اسم الله -تعالى-، المطلوب به حصول السلامة، وذلك أن السائل يسأل في كل مطلوب من الله بالاسم المناسب لمطلوبه، كما يعلم ذلك عند تأمل الأدعية الواردة في كتاب الله -تعالى-، وفي أحاديث رسوله -صلى الله عليه وسلم[1].

يقول علي القاري وهو يتحدث عن فوائد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته باعتبارها تحية المسلمين: إن إحدى فوائد السلام أن يسمع المسلم المسلم عليه ابتداء لفظ السلام، ليحصل الأمن من قبل قلبه ... إلخ[2].

---

[1] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/ 122-124).

[2] فيض الباري على صحيح البخاري (1/ 153)

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: وفي تناولنا لمسألة التحية عَلِمْنَا أن كلمة التحية وهي « السلام عليكم » معناها أمان واطمئنان، والأمان والاطمئنان كلاهما يعطي الحياة بهجة ، فالحياة بدون أمن أو اطمئنان ليس لها قيمة . فكأن إشاعة السلام بقولنا: « السلام عليكم » أو «السلام عليكم ورحمة الله» أو «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» تجعل المجتمع مجتمعا صفائيا ، وما دام المجتمع كله مجتمعا صفائيا، فخير أي واحد يكون عند الآخر. ويتعدى ذلك إلى أن يطلب المؤمن خير الله لأخيه المؤمن[1]. فلا يكون إيمان المؤمن كاملا حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه.

إن الصلاة التي هي عماد الدين فيها منهج تربوي يغرس في نفوس المصلين المؤمنين السلام ففي التشهد يدعو المصلي بالسلام على الرسول عليه الصلاة والسلام ويدعو بالسلام لكل المسلمين ثم ينهي صلاته يمينا وشمالا بالسلام، وهنا سأذكر نص التشهد لما فيه من دلالة واضحة على ترسيخ معاني ومفاهيم السلام لدى المسلم المصلي ونص التشهد هو (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض) [2].

إن المتدبر لهذا يدرك جيدا أهمية ومكانة السلام في الإسلام، فالصلاة ليس مجرد أقوال وكلمات تردد من قبل المصلي، بل لابد وان تتحول هذا الكلمات إلى واقع عملي مؤثر، لذا قال الرسول عليه الصلاة

---

[1] الشعرواي : تفسير الشعراوي (ص: 1721)

[2] صحيح البخاري (1/ 403)

والسلام " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا"[1].

والذي يتتبع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن التشهد في الصلاة وعن السلام في هذا التشهد يدرك جيدا أن معاني السلم هي المقصودة، وأن هذه المعاني ليس مقصودا بها الأحياء فقط بل إنها تشمل حتى الأموات، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن انتهى من التشهد: (فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض) [2].

وفي شرح الإمام النووي لصحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام، قيل في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) إن معناه التعويذ بالله والتحصين به سبحانه وتعالى، فإن السلام اسم له سبحانه وتعالى تقديره الله عليكم حفيظ وكفيل كما يقال الله معك أي بالحفظ والمعونة واللطف. وقيل معناه السلامة والنجاة لكم ... قوله "وعلى عباد الله الصالحين" قال الزجاج وصاحب المطالع وغيرهما: العبد الصالح هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد[3]. ولا شك أن القائم بحقوق العباد من كان مؤديا لحقوقهم غير ظالم ولا معتد وهو من كان الناس في أمان منه على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

---

[1] المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ج11، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، 1404 – 1983، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ص 54.

[2] صحيح البخاري (1/ 403)

[3] شرح النووي على مسلم (4/ 116- 117)

وهذا السلم والأمان المرجو من التحية الإسلامية هـو عـام للجميـع أيضا دون استثناء، وهذا ما وضحه الرسول عليه الصلاة والسـلام بقولـه " «إِنَّ اللهَ جَعَلَ السَّلَامَ تَحِيَّةً لِأُمَّتِنَا، وَأَمَانًا لِأَهْلِ ذِمَّتِنَا»[1].

[1] المعجم الكبير للطبراني (8/ 109)

قواعد ومبادئ في فلسفة الإسلام تؤسس السلام

هناك أسس وقواعد في الإسلام اذا ما تم مراعاتها يتحقق السلام داخل المجتمعات، وهذه القواعد ضرورية جدا في أي مجتمع وأي في وقت ليتحقق الأمن والسلم، وهذه المبادئ يشدد عليها الإسلام في فلسفته لتحقيق السلم.

ترسيخ مبدأ وحدة الإنسانية رغم اختلاف الشرائع والديانات

يعد هذا المبدأ هدفا ووسيلة في الوقت نفسه، فالإنسان يرجع إلى أصل واحد وليس هناك جنس فوق جنس وآخر دونه، فالإنسانية في أصل خلقتها ترجع إلى أصل واحد وإن اختلفت في لاحق أيامها لغة ولونا وجنسا ومكانا، فالكل يرجع أصله إلى آدم وآدم عليه الصلاة والسلام كان من تراب، نعم إن هذه الإنسانية انبثقت وتوسعت وانتشرت من أسرة واحدة، يقول الله تبارك وتعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) النساء:1.

وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ وحدد أصله ومعالمه وأعلن أن الجميع يرجع إلى أصل واحد وأن الكل متساوون وأن لا فضل ولا مزية لأحد على غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقد أعلن ذلك بوضوح في حديثه في حجة الوداع فقد روي عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: بَرٌّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هَيِّنٌ على الله، والناس بَنُو آدَمَ، وخلق الله آدَمَ مِنْ تراب، قَالَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. قال الألباني عن هذا الحديث بأنه صحيح[1].

وإذا كان الكثير من التطاحن والنزاع والحرب يحدث بين البشر وإذا كان السلام يغيب عن في نفوسنا وعن مجتمعاتنا نتيجة رؤية ضيقة ترى أن الغير والآخر دونه في المرتبة والدرجة والتكريم، فان فلسفة الأصل الواحد للإنسانية والتعامل معه بحكمة وعقلانية تقضي على هذا وتكون عاملا ودعامة قوية تؤسس لمبدأ السلام والعيش في حالة من الوئام والاحترام.

تكريم الإنسان ترسيخ لمبدأ السلام

إن فلسفة الإسلام في النظرة إلى الإنسانية باعتبارها من أصل واحد تقوم على التكريم، فالله عز وجل قد كرم الإنسانية في أصلها، فقد كرم الله عز وجل الإنسان إذ يقول الله عز وجل ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) الإسراء: 70. وقال تعالى أيضا ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)) التين: 4.

ومن مظاهر التكريم أن الله عز وجل منع أي اعتداء على الإنسان في نفسه أو ماله بل عد الإيذاء في أبسط صوره أمرا محرما بنص القران الكريم، واعتبر الإسلام أي اعتداء على الإنسان ليكون سببا لإزهاق روحه اعتداء على الناس والبشرية جمعاء، فالإسلام ينظر إلى الإنسانية باعتبارها مكونا واحدا وإن تشعبت وتنوعت تفريعاتها، يقول لله جل وعلا ((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

[1] سنن الترمذي ت شاكر (5/ 389)

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33))) المائدة 32-33.

والملاحظ في الآية الثانية أن الله تبارك وتعالى قد وضع جزاء دنيويا وأخرويا بالغ القسوة في حق أولئك الذين يعيثون في الأرض فسادا، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن إرهاب الناس والسعي إلى إفساد حياتهم أمر في غاية الخطورة. فالإفساد في الأرض وإرهاب الناس حرب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

خلق الله لآدم على صورته مظهر آخر للتكريم الإلهي

يعد خلق الله تبارك وتعالى لآدم عليه الصلاة والسلام والذي هو أصل الإنسانية على صورته من أرقى مظاهر التكريم، فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (خلق الله آدم على صورته) [1].

إن خلق الله لآدم على صورته يحمل في طياته معاني عدة منها: وجوب أن يحظى هذا الإنسان بالاحترام، وأن لا يهان ويحتقر، وأن لا يتأذى في أي شيء ومن شيء، ومن هنا فإن فلسفة الإسلام في الكرامة تشمل كافة الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين، فعلى المسلمين أن يتحلوا بأرقى وأجمل صفات الإنسانية من حيث احترام حقوق الإنسان، فحرمة الإنسان وكرامته لا تقتصر في الإسلام على المسلمين فقط وليس هناك في قاموس الإسلام أية تمييز وتفاضل بين البشر إلا

[1] صحيح البخاري (5/ 2299)

على أساس التقوى وما يقدمه الإنسان من عمل يخدم به الإنسانية جمعاء.

التكريم الإلهي يشمل عالم الأموات أيضا

إن احترام وتكريم الإنسانية يتجاوز ما نراه حياة فقط في عقولنا وتصوراتنا، بل إن الإنسانية مكرمة في أصلها في فلسفة الإسلام حتى ولو كان الإنسان ميتا ليس حيا بين ظهرانينا. فأي تعد وتجاوز وظلم على الإنسان في بدنه أو كرامته أمر مرفوض في شريعة الإسلام حتى وإن كان هذا التعدي واقعا على الميت وفي عالم الأموات، فهناك نصوص واضحة تحرم هذا الشيء، بل إن توجيه الكلام السيئ إلى الميت لا يجوز في فلسفة الإسلام لأن هذا الإنسان يجب أن يكون مكرما وأن لا يهان حيا كان أو ميتا. فقد جاء في الحديث الشريف "عَنْ أَمِّ سَلَمَةَ، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: "كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الْحَيِّ فِي الْإِثْمِ"[1]. والعلماء وإن لم يوجبوا القصاص أو الدية على الجاني في مثل هذه الحالة فإنه لا يمنع من أن توقع عليه عقوبة تعزيرية يقدرها القاضي، أو السلطة التشريعية بقانون وهو ما لا يتعارض مع ثوابت الإسلام في سياسته الجنائية. فإن كان هناك إثم وهذا ما نص عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وليس له عقوبة محددة نصا فالواجب هنا هو العقوبة التعزيرية.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: قال النبي صلى الله عليه و سلم (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) [2]، أي وصلوا "إلى ما قدَّموا" من الأعمال فالحديث دليل على تحريم سب الأموات. وظاهره العموم للمسلم والكافر. قيل الظاهر في الحديث أنه

---

[1] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (2/ 542)

[2] صحيح البخاري (1/ 470)

مخصص بجواز سب الكافر لما حكاه الله من ذم الكفار في كتابه العزيز كعاد وثمود وأشباههم. قلت: لكن قوله "قد أفضوا إلى ما قدَّموا" علة عامة للفريقين معناها أنه لا فائدة تحت سبهم والتفكه بأعراضهم، وأما ذكره تعالى للأمم الخالية بما كانوا فيه من الضلال فليس المقصود ذمهم بل تحذيرا للأمة من تلك الأفعال التي أفضت بفاعلها إلى الوبال وبيان محرمات ارتكبوها[1].

ويعد من أرقى صور التكريم الإلهي للبشر دون تمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرق أو الدين ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من أن الرسول صلى الله عليه كان يقوم للجنازة احتراما لها، وتعلم منه صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك، فكانوا يقومون للجنازة، أية جنازة كانت لمسلم أم غير مسلم، فقد روى عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[2]. فقوله صلى الله عليه وسلم أليست نفسا يدل على ذاك المعنى الواسع والشامل لمعنى النفس الإنسانية في الإسلام وما يجب أن تحظى به من تقدير واحترام. وقد جاء في شرح هذا الحديث "وهذا القيام كان إعظاماً لأمر الموت والحياة، وإن كان الميت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فإنه لا فرق بينه وبين المسلم في الخِلقة، أما الإسلام والكفر فعقيدة في القلب، أما هذا الهيكل بكامله فهم فيه سواء، لا فرق بينهم. فكونها نفساً منفوسة خلقها الله، فيها القدرة الإلهية، وفيها آية التكوين، وقد قبضت، وتغيرت حالتها، فالذي

---

[1] سبل السلام (2/ 119)

[2] صحيح مسلم (2/ 661)

يقوم؛ فإنما يقوم إعظاماً وإجلالاً لله سبحانه وتعالى الذي خلق هذه النفس المنفوسة ثم سلبها الروح[1].

الإنسان بنيان الله مظهر آخر للتكريم

ثم تأتي فلسفة الإسلام لتحدد أعلى وأرقى صور التكريم حيث عد الإنسان بنيان الله وأن الله عز وجل قد خلقه على صورته فقد جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قد قال: (إن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه) [2]. وهل يوجد أعلى من هذا المقام. وهل يوجد أكثر عبارة للتحذير من اللعن والطرد إذا ما تم هدم هذا البناء" فالنفس المحرمة بنيان الله وتركيبه "[3].

إن أية ملاحظة بسيطة للمرء لهذه النصوص التي تكرم الإنسان يدرك بها جيدا وبصورة لا تقبل الشك من أن هذه الكرامة متأصلة ومتجذرة في أصل الإسلام وأنها كرامة لا تحدوها أية حدود.

إقرار بالتعددية

لا يتحقق السلام إن يكن هناك إيمان وقناعة تامة بالتعددية والتنوع داخل المجتمع، فالتنوع والاختلاف سمة لصيقة ببني البشر وبمجتمعه، فالاعتراف بالآخر وخصوصيته وما يتمتع به من حقوق هو السبيل الأمثل لتحقيق السلام داخل المجتمع، وهذا ما أقره الإسلام في فلسفته حول الإنسان والإنسانية بأن التنوع والاختلاف أمر لازم وحتمي وأنه من غير الممكن تلافيه وتجنبه. وهنا رسخ الإسلام مبدأ

---

[1] شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (121/ 9،

[2] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (1/ 583)

[3] النهاية في غريب الأثر (5/ 573،

الخصوصية للإنسان سواء أكان يعيش منفردا أو مع غير في جماعات، فقد نص القران الكريم على أن الله عز وجل قد خلق الإنسانية في تنوع وتعدد من حيث الشعوب والقبائل، فقد قال الله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13))) سورة الحجرات 13.

وهذا التنوع متعدد الجوانب والمجالات فهناك تنوع من حيث اللغة والديانة وتنوع اللسان والأجناس يقول الله تبارك وتعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)) سورة الروم 22.

بل وأكد القران الكريم على أن التعدد والتنوع الديني هو أمر حتمي وفرض على بني البشر وأنه لا مناص منه فقد نص القران الكريم على ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) هود:117،118). ونظرا لان الإسلام قد أقر بالتنوع الديني فإنه أكد على أن الاتفاق بين الأفراد مختلفي المعتقد أو الديانة هو أمر غاية في الصعوبة، ولا يمكن لأي جهود إنسانية أن تصل إليه، لا بل إن الاختلاف الديني أو المذهبي بين بني البشر هو سنة إلهية بل وضرورة تفرضها حكمة الله في خلقه.

والاختلاف الديني هذا لأنه واقع بإرادة الله ومشيئته جل وعلا كان لابد وأن يكون من وراءه حكم ومقاصد جليلة، فالله وصف نفسه بالحكيم، والحكيم لا يصدر منه أي شيء باطل، بل كل ما يصدر منه فهو حق، إذ هو لم يخلق أي شيء عبثا، وإذا كان هذا الاختلاف واقعا بمشيئة الله تبارك وتعالى فكان لابد من التعامل معه كما هو مراد الله منه. ولو تتبعنا ولاحظنا نصوص القرآن الكريم فإنها تفرض على المسلمين الاعتراف بهذا الاختلاف الضروري، وعدم جواز تبني فكرة إكراه الغير على ترك الاختلاف والانضواء تحت مظلة فكرية

واحدة، فالتعدد الفكري واقع حتما وتوحيده أو إنهاءه ضرب من الخيال إلا اذا قدر الله ذلك فهو على كل شيء قدير. يقول الله عز وجل ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)) يونس:99) وقال تعالى ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) الأنعام:35.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الاختلاف المقصود هو على عمومه وإطلاقه اختلاف يشمل اختلاف المسلم مع المسلم وكذا اختلافه مع غير المسلم.

وإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان لابد من الاختلاف، وإذا كان الإكراه ممنوعا وغير جائز شرعا، فإن الآخر حتما وبهذه الآلية سيكون في مأمن من الاعتداء على فكره وتصوره وخصوصيته، وله أيدلوجيته الفكرية والعقدية دون أن يكون هناك أي تعد أو تجاوز أو إكراه عليه.

فضلا عما تقدم، فإن آلية التعامل في الإسلام مع الآخر في حالة الاختلاف تعد من أنجح الوسائل لتحقيق السلام داخل المجتمع المتنوع والمتعدد، حيث فرض على المسلمين أن يكون التعامل مع الآخر بالحوار والنقاش وبالتي هي أحسن، ففي الإسلام إن كان هناك طريقتان للتعامل مع الغير أحدهما حسن والآخر أحسن، فإن الواجب هو اتخاذ الطريق الأحسن. يقول الله تبارك وتعالى ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))العنكبوت: ٤٦. وقد جاء في شرح هذه الآية "أنهم إن قالوا شراً فقولوا لهم خيراً , رواه ابن أبي نجيح. ويحتمل تأويلاً آخر: وهو أن

يحتج ويستدل على صحة ما في شريعة الإسلام دون أن يذم ما تقدمها من الشرائع[1].

نعم إن الإسلام حينما يدعو المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام فإنما يفرض عليهم إتباع الحكمة وأن يكون كلامهم مع الغير بالموعظة وأن هذه الموعظة يجب أن تكون حسنة، يقول الله تبارك وتعالى ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (125) النحل: ١٢٥

والقصد من إتباع هذا السلوك واضح جدا إذ به تقترب القلوب مع بعضها وبه يتحقق التآلف حتى مع بقاء الاختلاف، وهذا ما وضحه رب العزة حينما قال ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيم)) (35) فصلت: ٣٤.

والذي ينبغي الإشارة إليه هنا أن الاختلاف وإن بقي بين الناس فلا أحد له الحق في إزالة هذا الاختلاف بالقوة بل يبقى ذاك الاختلاف وكل يعمل بما يرى أنه هو الحق والصواب وضمن منظومة النظام والآداب العامة وأن القول الفصل في هذا الاختلاف يكون لله تبارك وتعالى يوم القيامة ((وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70))) سورة الحج 68-70.

[1] ينظر صحيح البخاري (5/ 2299)

ثقافة الاختلاف والتعامل معه في الإسلام يوطد دعامة السلم

إن التنوع والاختلاف المنضبط بالاعتراف بالغير والإقرار بحقوقه واحترام مشاعره وعدم التقليل من شانه باعتباره مكونا من مكونات المجتمع القائم هو وسيلة في غاية من الأهمية لاستقرار الأمن والسلم داخل المجتمعات، ويعد من الخطوات الصحيحة والناجحة لتطور المجتمعات وتقدمها، وهو في الوقت نفسه الوسيلة المثلى للتقريب بين المتباينين وإيصال للرسالة التي ينبغي على المسلم أن يقوم بإيصالها بالحكمة والموعظة الحسنة، فسياسة التعامل مع الآخر وفق الضوابط ليس فقط وسيلة للتعايش بل هي الوسيلة المثلى لتنمية الإنسان والمجتمع .

إن إقرار المسلم بفلسفة الإسلام التي تقوم على احترام الآخر "المخالف" وفق الأسس والقواعد الحكيمة من حيث أن الاختلاف المحمود هو بحد ذاته رحمة ونعمة من الله ومنة على هذه الأمة، وإقراره هذا يفرض عليه سلوكا على أرض الواقع من حيث الالتزام بمنهج الإسلام في التعامل مع الآخر وقبوله ضمن المجتمع الإسلامي أيا كان هذا الغير، وأنه لن يكون كأي قبول اضطراري جبري ومفروض عليه لا حول له فيه ولا قوة، وإنما هو قبول يستند إلى قناعة وإيمان بما في مبادئ الإسلام، فقبول الآخر كما فرضه الإسلام حتى مع الاختلاف أمر فرضه الله تبارك وتعالى وبالتالي يكون المسلم ملزما عن يقين واقتناع بإتباع هذا النهج في حياته مع الجميع دون استثناء.

إن القواعد الشرعية في فلسفة الإسلام المتعلقة بالاختلاف تفرض على أتباعه سلوكا مسالما مماثلا لقناعاته، فهو سلوك ونمط من التعامل يقوم على اللطف واللين ويقوم على تمني الهداية والخير للآخرين، إنه سلوك يفرض على الناس كافة أن يكونوا أبعد الناس عن الفضاضة والقسوة والتشدد. إن المسلم مطالب بالبحث والاجتهاد عن تلك

الوسائل التي بها يقرب قلوب الناس إلى هذا الدين الحق. فالأصل أن المسلمين إنما بعثوا ميسرين لا معسرين ومبشرين لا منفرين.

إن فلسفة الإسلام لا تقبل بأي شكل أن يكره الناس على الدخول في دائرة الإسلام والإيمان بمبادئه، فلا إكراه في الدين وقد بين الله الرشد من الغي، وإذا كان الله جل وعلا قد أمر نبيه بعدم إكراه الناس على الدين، حيث استفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب استفهامي واستنكاري مخاطبا إياه ((أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) فإذا كان هذا هو الأمر الإلهي للرسول عليه الصلاة والسلام، فالمسلمون جميعهم ملزمون بتباع هذا الأمر، فلا يحق إكراه أحد مخالف على الاقتناع والإيمان والنزول على رأي لا يرتضيه عن قناعة وحجة وبرهان[1].

عليه يعد الاختيار ومنع الإكراه المبدأ الآخر والوسيلة الناجحة لاستقرار الأمن والسلم داخل المجتمعات، وخاصة تلك المجتمعات التي تتعدد فيها الطوائف والديانات فليس من حق احد أن يكره أحدا على اعتناق أي دين آو أي مذهب بل الناس أحرار فيما يعتقدون وفيما يعبدون شرط أن لا يخرج ذلك عن الآداب والنظام العام الذي يؤثر سلبا على عامة المجتمع وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا حكما عاما للناس كافة وفي كل الأمكنة والأزمنة فقال تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } البقرة 256.

لقد ترك الإسلام الخيار لغير المسلم في اعتناقه الإسلام من عدمه بعد أن بين له ووضح له أسس الإسلام وأعطى الله له العقل والفكر

---

[1] صحيح البخاري (5/ 2299)

للاختيار السليم بقوله تعالى " وهديناه النجدين" وقوله تعالى "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"

إن هذا المبدأ يغرس في نفوس أتباع الإسلام احترام الغير مع الاختلاف، فكأنه يشير إلى ذاك المبدأ الذي يقول "الناس إما أخ لك في الدين أو أخ لك في الخلق" إنه مبدأ يشير إلى ويشمل الإنسانية ككل، إنه مبدأ يستوعب في دائرته حتى من هو ليس من أتباعه، فبمجرد أن يحترم الغير أصول ونظام العامة فإنه يكون بذلك واحدا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم.

المسلم والآخر صورة أخرى من صور السلام

علاقة المسلم بالمسلم

إن تحديد نوع العلاقة مع الآخرين يرسم معالم الرؤية الواضحة في كيفية التعامل معه، ويحدد سلوكه تجاهه، ويرسم نوع العلاقات وكمها، وهنا حدد القران الكريم هذه العلاقة بين المسلمين فبين لهم بأنهم إخوة وبأنهم أولياء بعضهم البعض يتناصرون فيما بينهم ويمنعون ظلم الظالمين، قال الله في كتابه العزيز ((إنما المؤمنون إخوة)) وقال أيضا {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }التوبة71، فقد حددت هذه الآية نوع العلاقة مع المسلمين أنفسهم وهو الولاء، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم بقوله عليه الصلاة والسلام "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"[1]. فالمسلمون هم إخوة فيما بينهم، وهكذا وبهذه الصورة يجب أن يكون تعامل المسلمين فيما بينهم، وحينما حدد الرسول عليه الصلاة والسلام كون المسلمين إخوة فرض عليهم نوع التعامل وبين لهم السلوك الصحيح من عدمه فحرم بينهم الظلم وكل ما فيه إيذاء واعتداء.

إن الإسلام جعل تمني الخير وحبه للآخرين علامة من أهم علامات الإيمان، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) [2].

---

[1] الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ج2، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، مع الكتاب: تعليق د. مصطفى ديب البغا، ص 862.

[2] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ج1 ص 14.

توطيد العلاقة مع الغير وسيلة أخرى لتحقيق السلم

الأصل أن الاختلاف بين بني البشر يجب أن يكون وسيلة تعارف وتعاون بين البشر على كافة اختلافاتهم وتنوعهم قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات13.

وتأكيدا لهذا المبدأ يقول صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: أي شهر هذا ؟ قالوا: شهر حرام، قال: أي بلد هذا؟، قالوا: بلد حرام ، قال : إن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري ، قال: أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت ؟ قالوا: بلغ رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال: ليبلغ الشاهد الغائب[1].

وقد كان من أهم أسس ودعائم السلم التي أقامها الإسلام في المجتمع المسلم الذي كان متعدد الثقافات والديانات والأعراف والتقاليد توطيد وتوثيق العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب وغير أهل الكتاب في العلاقة الاجتماعية حينما اقر وأباح الاشتراك معهم في أمور تمس صميم الحياة حيث أباح للمسلم أن يتزوج من غير المسلمة من أهل الكتاب وأباح أكل أطعمتهم وذبائحهم بقوله تعالى {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ

[1] الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ج 7، الناشر : دار الفكر - بيروت، 1993، ص 579.

الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } المائدة5 .

بل إن هذه العلاقة لم تقتصر على غير المسلمين من أهل الكتاب وإنما عدت وشملت غير أهل الكتاب في مشروعية إقامة العلاقة الاجتماعية معهم حينما قال الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يشير إلى نوع العلاقة مع غير المسلمين من غير أهل الكتاب فقد روى مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال: له عبد الرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب"[1].

يل إن الأمر يتجاوز ذلك في وضوح تام ومن خلال آيات واضحات وبينات من أن هذا الاختلاف ليس فقط لا يمنع التعامل مع غير المسلمين بل يبين أن البر والإحسان إليهم أمر يحبه الله حينما قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الممتحنة: 8.

فبمجرد أن لا يكون من صف المقاتلين والمحاربين للمسلمين وللدولة الإسلامية فإن البر لا يمنع منهم وإنما جاء النهي عن البر إلى المعتدين والمقاتلين قال الله تعالى {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} الممتحنة: 9.

---

[1] مسند الشافعي، الإمام محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت- صفحة 209.

ونظـرا لأن الأمـر كـان كـذلك مـن حيـث ضرورة السـلم داخـل المجتمعات، فإن الإسلام في علاقاته مـع الآخـر حـدد المبـدأ الأسـاس في التعامل معـه وهـو السـلم لا غـير، فالسـلم هـو الأسـاس وهـو الخـط الموازي في التعامل والعلاقة مع الآخرين، فالإنسانية هي سيد الأحكـام وهو الميزان الحق في فلسفة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين سـواء أكانوا داخل المجتمع المسلم أم خارج الدولة الإسلامية.

وهنا يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم مدى القبح والجرم الذي يأتيه المسلم لو أنه أقدم على أذية غير المسلمين، يقول الرسـول عليـه الصلاة والسلام "من آذى ذميًّا فأنا خصمه ومن كنت خصـمه خصـمته يوم القيامة"[1]. فالرسول عليه الصلاة والسلام ولنا فيه الأسوة والقـدوة الحسنة وهو يتحدث عن التعامل مع غير المسلم فيحرم مالـه وعرضـه وأذيته بأي شكل. (فأنا خصمه) مخاصمه عند اللَّه. (ومن كنت خصمه خصمته) فلجته في الخصومة (يوم القيامة) ففيه حرمة الـذمي وأنـه لا يحل منه شيء وقد خالف الناس هذا فتراهم يـؤذونهم بكـل أذى مـن اللعن والسخرية وغيرها جهلاً منهم وعدواناً[2].

وقال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـن ظلـم مُعاهِـدًا، أو انتقصه حقًا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغـير طيـب نفـس منه، فأنا حجيجه يـوم القيامـة»، وروى الخطيـب -بإسـناد حسـن- أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم، قـال: «مـن آذى ذميًـا فأنـا خصـمه، ومـن كنـت خصـمه خصـمته يـوم القيامـة»، وفي روايـة للطـبراني -في الأوسط- بإسناد حسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قـال: مـن آذى ذميًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله".

---

[1] كنز العمال، الصنعاني،ج4 ص 362.

[2] التنوير شرح الجامع الصغير (10/ 11).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل القادمين من الأقاليم عن حال أهل الذمة، كما يسأل عن المسلمين والولاة والقضاة، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: «إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا»، وسار على هذا المنهج الخلفاء والولاة.

وكانت هذه المعاملة الأدبية الإنسانية مع غير المسلمين سببًا رئيسًا في ترغيب الناس في العيش بدار الإسلام إلى جانب المسلمين.

طبول الحرب لا تقرع في الإسلام

رب قائل إذن فما هذه الدعوات التي تصدر بين الحين والآخر للحرب وقتال غير المسلمين استنادا إلى نصوص قرآنية وسنة نبوية، فالجواب وباختصار ووضوح شديدين أن كل هذه النصوص إنما أنزلها الله تبارك وتعالى والمراد بها رد الاعتداء ودفع الظلم، وأما أن يوجد هناك نص يبيح قتل غير المسلمين فهذا ما لا يوجد في شريعة الإسلام في شيء من نصوصها، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في التعامل مع غير المسلمين وما عاشه غير المسلمين وإلى هذه اللحظة في المجتمع المسلم لأكبر دليل على ذلك.

أما وان حدث قتال فإن كان بين المسلمين فالواجب هو وقف القتال والاحتكام إلى الشريعة والقانون وتطبيق الحق والعدل والانتصار للمظلوم قال الله تعالى {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات: 9.

وأما إن كان بين المسلمين وغيرهم فلا قتال ولا حرب استباقية يشنها المسلون أبدا، بل هو حرام وهو من قبيل الاعتداء والتجاوز المنهي عنه "إن الله لا يحب المعتدين"، "إن الله لا يحب الظالمين".

والقتال المشروع في الإسلام هو للأسباب التالية:

رد الاعتداء: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } البقرة: 194.

منع الفتنة والشقاق التي يستعملها الأعداء لفض صفوف المسلمين بهدف تفتيت وحدتهم {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} البقرة: 193.

الدفاع عن الضعفاء من المسلمين: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً } النساء: 75.

ومع كل ما مر فان السلام بعد الحرب أمر مشروع ومستحب وهو ما حث الله تبارك وتعالى المسلمين عليه حينما قال الله تعالى {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنفال: 61.

فلو طلب المقاتلة من الأعداء أيا كانوا السلم فالاستجابة إليه أمر مستحب إن لم يكن واجبا، مع مراعاة أحوال الحرب ومصلحة الدولة وتحقيق المصالح العليا للدولة على اختلاف مواطنيها من مسلمين وغير مسلمين. يقول البغوي في تفسير قوله تعالى "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم" أن قوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم} أي: مالوا إلى الصلح {فاجنح لها} أي: مل إليها

وصالحهم[1]. يقول القرطبي: فالجنوح الميل. يقول: إن مالوا إلى المسالمة؛ أي الصّلح، فمل إليها[2].

عليه فبمجرد أن يكون هناك ميل للسلم حتى من قبل العدو المحارب فالجنوح واللجوء إليه أمر مأمور به في القران الكريم ، ويفهم من هذه الآية أن الجنوح إلى السلم إذا كان مأمورا به في القران الكريم بنص الآية فهذا يعني حتما أن الذي بدأ بالحرب والقتال هنا هم غير المسلمين لا المسلمين وإلا كيف يكون هناك دعوة إلى القتال وفي الوقت نفسه أمر وحث على السلم، لأنه قبل أن تكون هناك حرب وقبل البدء بالقتال هناك حالة من السلم الذي هو مأمور به في القران الكريم. فالبقاء على الحال الذي هو مأمور به بنص الآية أولى من إشعال نار الحرب والفتنة ومن ثم المطالبة بإيجاده من جديد. إنه شيء من العبث لا يمكن أن يكون هذا في فلسفة الإسلام في شيء. فالحرب والقتال حالة استثنائية وهي مكروهة من حيث العموم. قال الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى۔ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } البقرة: 216.

فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما وادع المشركين عشر سنوات في الحديبية فإنما طبق هذه الآية، لأن "الموادعة جهاد معنى" إذ المقصود وهو دفع الشر ومنع الحرب وإرساء السلام وهو حاصل بالصلح[3].

يقول ابن إسحاق نقلا عن الزهري: في قوله تعالى: {فجعل من دون ذلك فتحا قريبا}: "صلح الحديبية "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة

---

[1] معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، الإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، ج1، ص373.

[2] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (6/ 2273)

[3] الهداية شرح بداية المبتدي، الإمام المرغيناني، ج1، ص381.

ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضا و التقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر".

وإن كان هناك من يرى ولأسباب معينة أن الخير في الحرب فالله عز وجل أعلم بما في الصلح من الحكمة والخير والمصلحة. يقول ابن جزي وهو يتحدث عن الصلح "صلح الحديبية": "يريد ما قدَّره تعالى من ظهور الإسلام في تلك المدة. حيث ظن بعض من الناس أن الصلح في مثل ذاك الوقت فيه إهدار للوقت ونزول عن رغبة المشركين"، ويقول ابن جزي: فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب، رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة الحديبية في ألف وأربعمائة، وغزا «غزوة الفتح» بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف {فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} أي فجعل قبل ذلك فتحاً عاجلاً لكم وهو «صلح الحديبية» وسُمي فتحاً لما ترتَّب عليه من الآثار الجليلة، والعواقب الحميدة، ولهذا روى البخاري «عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: تعدُّون أنتم الفتح «فتح مكة» وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح «بيعة الرضوان» يوم الحديبية[1].

وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، فعز الإسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلّى الله عليه وسلّم[2].

---

[1] صفوة التفاسير (3/ 211).

[2] تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 153).

قَالَ الشَّـعْبِيُّ: لَقَـدْ أَصَـابَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ مَا لَمْ يُصِبْ فِي غَزْوَةٍ[1]، حيث "وضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلهم"[2].

العدل والإحسان دعامتا السلام

إن من أهم دعائم تحقيق الأمن والسلم في المجتمعات هو تحقيق العدل بين الناس، إذ منع الظلم والإجحاف بحق الناس في أمور حياتهم وفي أقضيتهم يخلق في نفوس الناس حالة من الأمن وعدم الخوف من ظلم الحكام والقضاة، والفلسفة التي تقوم على إقناع الناس بوجوب الرجوع إلى القضاء لتحقيق الحق ومن ثم إنصاف الناس بشتى أصنافهم هي فلسفة تستطيع الدول أن تبني عليها أنظمتها المدنية القائمة على إحقاق الحق، وهي فلسفة لا تؤجج نار الحقد والعداوة بين الناس ولا تثير حفيظة المتخاصمين بل الكل يكون راضيا بما سيؤول إليه حكم القضاة، وهي فلسفة تلزم الناس عن قناعة باللجوء إلى تطبيق القانون والتحاكم إلى القضاة ولا يكون فيه الباب والمجال مفتوحا لذوي النفوس الضعيفة والبغيضة للجوء إلى إشاعة الفوضى بين الناس وداخل المجتمعات بحجة الوصول إلى الحق المهضوم. ولا شك أن الثقة بين عامة الناس وبين القضاء من أهم الأمور التي تدعم عملية السلم وترسيخ الأمن داخل المجتمع. وهذه الفلسفة هي الكفيلة بإيجاد هذه الثقة.

إن مسالة وأحكام التحاكم إلى القضاء والركون إلى ما يصدره من أحكام مسألة ثابتة بنصوص القران الكريم قال الله تعالى في وجوب الاحتكام إلى القضاء ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

[1] فتح القدير للشوكاني (5/ 53)

[2] تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (9/ 291)

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) النساء: ٥٩.

ثم قال الله تعالى مؤكدا على تحقيق العدل وتطبيقه بين الناس((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) النساء: ٥٨.

ثم جعل العدل هذا نصيب الجميع دون استثناء في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة: ٨.

فلا شك أنَّ كلَّ خيرٍ وصلاح داخل في القسط والعدل، وكل شر وفسادٍ داخل في الظلم، والظلم يتفاوت، وبعضه أشد ضررًا من بعض، فهو في جميع أنواعه وأفراده ممنوع، ينفر عنه الطبع السليم، وتأباه الفطرة، وكذلك يمتنع عمومًا من حيث متعلقه، سواء كان الظلم ظلمًا لمسلم، أو لكافر، قريبٍ، أو بعيدٍ، صاحب، أو عدو، اعتدى عليك أم لم يعتد. فهو محرم في كل شيء، ولكل أحد. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ}[1].

قوله تعالى ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) الممتحنة: 8-9.

---

[1] الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص: 52)

والذي يتمعن في هذه الآية الكريمة يدرك جيدا كم أن الله عز وجل ركز وحدد ووضح معالم الرؤية بدقة في التعامل مع الآخر انطلاقا من مبدأ البر والإقساط "الذي هو العدل" فهذان مبدآن لو قامت عليهما فلسفات الدول والأنظمة في التعامل مع الآخر لكان للوضع الذي تعيشه البشرية والإنسانية صورة أخرى ونمطا آخر من حيث القيمة والكرامة والعدل والإحسان.

إن عدم النهي الوارد في القران الكريم مطلق وليس مقيدا بالمسلم أو غير المسلم الذي يعيش في مجتمع المسلمين، بل إن هذا النص ودون أي تأويل يستغرق جميع الأصناف وفئات البشر.

وكلمة البر كلمة جامعة وشاملة لكل معاني الخير والإحسان، ليس للمسلم فقط بل لغير المسلمين أيضا وسواء أكانوا في مجتمع المسلمين أم في مجتمعات أخرى فالكل يندرج تحت مضمون ومفهوم هذه الآية. وقد جاء في كتاب مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية "وإن الإسلام، إن أعطى أهل الذمة في الدولة الإسلامية حقوقهم كاملة، ولم يُكرههم على اعتناق الإسلام، وأمر ببرهم من الناحية المادية والمعاملة والتسامح معهم, ووصلهم بقسط من أموالنا على وجه البر والصلة، حتى ولو كانوا مخالفين لنا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان"[1].

فمفهوم البراءة في الإسلام لا يعني أن نسيء إلى أهل الملة الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية، وتحت حمايتها؛ بل لهم من المسلمين حسن المعاملة، والتسامح معهم، وعدم إكراههم على الدخول في دين الإسلام، ووصلهم بقسط من المال على وجه البر والصلة[2]، كما قال الله عز وجل {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

[1] مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: 372)

[2] المفيد في مهمات التوحيد (ص: 209)

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الممتحنة: 8.

والصواب قول من قال: المقصود بقوله تعالى: لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ هم جميع أصناف الملل والأديان، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، فإن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب، على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، وقد بين صحة ما قلناه الخبر في قصة أسماء وأمها[1].

ولا يظنن أحد بأن الإقساط إنما يكون مع المسالمين فقط، بل إن تحقيق العدل مطلوب مع الجميع دون أي استثناء فقد جاء في تفسير قوله تعالى: {وتقسطوا إِلَيْهِمْ}، أي: تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل، قاله ابن العربي. وهذا تفسير لقوله تعالى ((ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى)) [2].

رب عداوة تنقلب صداقة

جاء في تفسير "في ظلال القران" ما يبرز هذه المعاني بدقة ولطافة بالغة التعبير إذ جاء فيه «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ

[1] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (9/ 207)

[2] اللباب في علوم الكتاب (19/ 21)

عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً، وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ، وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ. وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين. وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك. وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع. ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس. فتتجه هذا الاتجاه المستقيم. وفي الآية الأولى من هذا المقطع إشارة إلى هذا الرجاء الذي لا يغلب عليه اليأس في معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشيرة: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً». وهذا الرجاء من الله، معناه القطع بتحققه. والمؤمنون الذين سمعوه لا بد قد أيقنوا به، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة، وأن أسلمت قريش، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد، وأن طويت الثارات والمواجد، وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب[1].

[1] في ظلال القرآن (6/ 3544)

البعد عن مواطن الشقاق والنزاع مبدأ آخر للحفاظ على السلم

ومن الأسس والقواعد الرئيسية لبناء السلام في المجتمع المتعدد الثقافات والأعراف والتقاليد البعد عن الخلاف والشقاق وعدم التركيز على مواطن الفوارق والخلاف لذا الإسلام منع المسلمين ونهاهم عن الاختلاف والنزاع والشقاق {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } آل عمران: 105. ويقول الله تعالى آمرا المسلمين (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون).

فقوله: {ولا تفرقوا} أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال] وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ.

وأما قوله تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا} إلى آخر الآية فإنه الله تعالى يخبر عن الأوس والخزرج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعدواة شديدة وضغائن طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى قال الله تعالى: {هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين* وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم} وقد

خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين فقال [يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي؟ فكلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن]. وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره: ان هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتوعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول [أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم][1].

وتأكيدا لهذه الآية قال الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[2].

وقد حاول الإسلام بأحكامه القضاء على كل تلك الوسائل والسلوكيات التي كانت تؤدي إلى النزاع والشقاق والصراع بين أبناء الديانات المختلفة، فقد كان المسلمون والمشركين يسبون بعضهم بعضا وكل واحد من الطرفين يطعن وينتقص من عقيدة ودين الآخر، ولكن لما كان هذا السلوك من شأنه أحداث فتنة بين المسلمين وغير المسلمين

---

[1] تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، جزء 1 - صفحة 514.

[2] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ج4، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، صفحة 1982.

في المجتمع المتعدد الديانات ترك الإسلام الحرية الكاملة لغير المسلم في أن يتعبد على وفق عقيدته ودينه، ومنع الاستهزاء واهانة غير المسلم في ديانته وعقيدته، ومنع المسلم من سب أية عقيدة أو ديانة أخرى وقد جاء هذا النهي واضحا لا لبس فيه ولا غموض في قوله تعالى {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} الأنعام: 108[1].

الإقرار بحقوق الجميع ضمان لاستقرار السلم

إن الإقرار بالحقوق لغير المسلمين في المجتمع المسلم لم يأت هكذا من ضغط اجتماعي أو سياسي مفروض على الإسلام وإنما يعد هذا من صميم الفكر الإسلامي وعقيدته، وقد كان هذا أيضا نابعا من عقيدة وإيمان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الحقوق للمسلمين وغير المسلمين، لذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام قد دون هذا المبدأ الذي يقوم على أساس قبول الآخر والتعايش السلمي مع الغير في وثيقة المدينة، تلك الوثيقة التي تعد من أول الدساتير التي دونت على مر التاريخ حينما اقر الرسول بهذه الحقوق.

" قال محمد ابن اسحاق كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق، جزء 2 - صفحة 220.

المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت إلى أن قال: وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل.

وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر ـ والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبة يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين.

لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وان ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف وان بطانة يهود كأنفسهم.

وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.

ولا ينحجر على ثار جرح.

وانه من فتك فبنفسه إلا من ظلم وان الله على أثر هذا.

وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

وإن النصر للمظلوم.

وإن يثرب حرام حرفها لأهل هذه الصحيفة.

وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله وان الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره[1].

إن المتتبع والدارس لهذه الوثيقة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم مع الطوائف المتعددة من المسلمين وغير المسلمين يدرك انه ارسي دعائم السلام والأمن داخل مجتمع المدينة، ففيها إقرار باليهود على أنهم امة مع المسلمين، وان لليهود ديانتهم وعقيدتهم ولا يكرهون على شيء من هذا القبيل، وفي هذه الوثيقة إشارة واضحة إلى أن النصح والنصيحة هو ديدن من وقع على هذه الوثيقة، وحدد الرسول عليه الصلاة والسلام المرجع الوحيد في حال الخلاف والنزاع سواء على مواد هذه الوثيقة وتنفيذها أو الخلاف والنزاع في أي أمر آخر.

ولا ننسى أن المؤاخاة الذي عقده الرسول عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار كان له الدور الكبير في إرساء السلام وإزالة الفوارق التي كان لها التأثير على الصراع بين القبائل فقد قال "محمد بن إسحاق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من

---

[1] البداية والنهاية، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، ج 3، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت، ص225.

المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي، وكان حمزة ابن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة[1].

ومن مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تخرج الصحابة على هذا النهج الذي يرى بأن السلم هو الأساس في التعامل مع الغير والذي يتتبع ويحلل ما كتبه عمر رضي الله عنه لأهل إيلياء يدرك هذا جيدا وهذا نص ما كتبه عمر لأهل ايلياء « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدُ الله عمرُ أميرُ المؤمنين، أهلَ إيليا من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملته؛ أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ... وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله، وذمّةُ رسوله، وذمّةُ الخلفاء، وذمّةُ المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة للهجرة»[2].

---

[1] سيرة ابن هشام ، ج2، ص108.

[2] المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ج 8، الناشر: دار الحرمين - القاهرة ، 1415، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ص24.

الخاتمة

أخلص من هذا الذي كتبته في هذه الصفحات أن الإسلام والسلام شيء واحد وأنهما من غير الممكن أن يفترقا وينفصلا، فالإسلام يهيئ الأرضية والشخصية الإنسانية في الوقت نفسه لتحقيق السلام داخل المجتمع. وهو سلام عام وشامل، سلام مع النفس والغير ومع المسلم وغير المسلم ، إنه سلام مع الإنسان ومع الجماد والحيوان، إنه سلام من أجل الإنسان.

ولتحيق ذلك فإن الإسلام في فلسفته وفي أحكامه وفي كافة مبادئه يؤسس لفكرة كرامة الإنسان ككل دون استثناء، فالإنسان هو بذاته وأصله مكرم بنص القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن أي تجاوز واعتداء على الإنسان في نفسه وماله يوجب العقوبة. وأن هذا الظلم والاعتداء على الناس هو بمثابة حرب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فكان جزاء من يفسد على الناس حياتهم في أموالهم وأبدانهم وبيئتهم وكل مصالحهم من أبشع الجرائم في نظر الإسلام لذا وضعت الشريعة الإسلامية أشد العقوبات على مرتكبيها.

من أجل كل ذلك نهى الله تبارك وتعالى عن الإفساد في الأرض لأنه يقضي على كل ما هو أمن وأمان وسلم وسلام فقال الله عز وجل {وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف 56) ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك. وقال القرطبي رحمه الله: نهى سبحانه عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر[1].

[1] الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة (ص: 81)

المصادر بعد القرآن الكريم

1. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهرى (المتوفى : 1367هـ)، دار ابن كثير دمشق- بيروت، أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

2. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989.

3. الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: 1349هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت

4. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري

5. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة : الرابعة

6. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م)

7. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ

8. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

9. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، عدد الأجزاء: 11ا.

10. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ج2، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا.

11. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء : 5.

12. الجامع المسند الصحيح المختصر - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9.

13. حاشية السندي على سنن ابن ماجة، محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى : 1138هـ) مصدر الكتاب : موقع الإسلام

14. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ج 7، دار الفكر - بيروت ، 1993.

15. سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، دار الحديث، بدون طبعة وبدون تاريخ.

16. السلام في الإسلام، مبادئ ... مفاهيم ... تطبيق، إعداد، جيهان أحمد عثمان حسين.

17. سنن ابن ماجه، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م

18. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، عدد الأجزاء: 2.

19. شرح السنة ـ للإمام البغوى، الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر : المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ 1403هـ - 1983م، عدد الأجزاء / 15، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.

20. شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم (المتوفى : 1420هـ)، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

21. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ : عبد الله بن محمد الغنيمان، دون اية معلومات أخرى.

22. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

23. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

24. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.

25. فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 6.

26. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356، عدد الأجزاء: 6.

27. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء / 4، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

28. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م.

29. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف : علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : 975هـ)، المحقق : بكري حياني - صفوة السقا، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الخامسة ،1401هـ/1981م.

30. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ

31. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م، عدد الأجزاء: 20.

32. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

33. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د عثمان جمعة ضميرية، الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الثانية 1417هـ-1996م.

34. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 9.

35. مسند الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: 1400 هـ

36. المسند الصحيح المختصر – صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5.

37. معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ]، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء : 8

38. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ج 8، الناشر : دار الحرمين - القاهرة ، 1415، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

39. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ج11، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، 1404 – 1983، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

40. المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه، إعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود، دون أية معلومات أخرى، المصدر مأخوذ من المكتبة الشاملة.

41. المفيد في مهمات التوحيد، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار الاعلام، الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ

42. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات).

43. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني -

عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، (1411 - 1412 هـ) = (1990 م -1992 م)، عدد الأجزاء:9.

44. الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، سعود بن عبد العالي البارودي العتيبي، عضو هيئة التحقيق والإدعاء العام - فرع منطقة الرياض، الطبعة الثانية 1427.

45. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة، عدد الأجزاء : 12 (11 ومجلد للفهارس).

46. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء : 5.

47. الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني، سنة الولادة 511هـ/ سنة الوفاة 593 ه، دون أية معلومات أخرى، المصدر مأخوذ من المكتبة الشاملة.